نايجل هاريس

الخبز والبنادق

الاقتصاد العالمي في أزمة

راجعه وعلق عليه
الفريق عفيف البزري

ترجمة
يسرى الأيوبي

مقدمة المؤلف

هذا كتاب عن الاقتصاد العالمي. والهدف من كتابته هو أن يصف للقـارئ العـادي بأبـسط أسلوب ممكن بعض العناصر عن كيفية عمل النظام، وتحركاته الرئيسية، وظواهره الهامـة. ولم ينجح دائماً في هذه المحاولة، فالنص لا يزال بشكل مؤسف ينوء في مراحل متعددة بتلـك العبارات المريعة التي يحاول الاقتصاديون بها غالباً أن يخفوا أفكارهم.

النظام العالمي الموصوف هنا يرى كنظام جغرافي من الإنتاج والمال، ولـيس بالدرجـة الأولى كمجموعة من العلاقات بين البلدان. فهذه ليست الكيفية التي يراه بها الناس عـادة. ولا يهتم البيان بمكان عيش غالبية الناس. إن شغلنا الشاغل هو بالإنتاج وليس الاستهلاك، بـالقوى التي تحدث التغيير وبتلك المناطق والنشاطات التي لها النفوذ الأكبر على البقية. وتبعاً لـذلك نعطي اهتماماً أكبر للمراكز الصناعية في النظام أكثر من مناطق العالم حيث يعـيش غالبيـة الناس.

إنه من أفضل الأحوال، صورة رمزية عنا لنظام أو بالأحرى مجموعة من الصور الرمزيـة. إن فكرة الصورة الرمزية قد تكون مضللة. إذ أننا عادة نتوقف في الرسم عند أنف الـسياسي لنرى إذا كان حقاً يصوره، ولكن النظام العالمي له أنوف مميزة. إنـه فقـط مجموعـة مـن المجردات. فنحن نستطيع أن نمحص المعلومات عن الصورة الرمزية، ونـتفحص العلاقـات النظرية بين الوقائع، ولكن ما يزال لدينا متسع هائل لنكون مخطئين. ومع ذلك، فالأمر يستحق المخاطرة. وبالرغم من العديد من الأخطاء التي يمكن أن ترتكب، فإن جـزءاً ممـا يناقـشه الكتاب هو أننا لم نكن نحتاج أن نفهم النظام العالمي لو أن كل النـاس الـذين يعيـشون فيـه قادرون على أن يفلحوا. إن الإمكانية ضئيلة في بقاء أي جزء في العالم مستقلاً عن الآخرين.

وهناك صعوبة أخرى. فالوقائع المتوفرة تبدو واضحة ليس فيها التباس. إنها ليـست كـذلك. فهناك وقائع لا تحصى ولكن لا تتوفر لنا إلا مختارات صغيرة. والمختارات توجد لأن لـدينا تخمينات خاصة عن العالم، ونظريات، والتي بدورها تجسد أهدافاً غير أهدافنا. فهناك آخرون كان عليهم أن يدرسوا فكرة الإنتاج الوطني الإجمالي قبـل أن نـتمكن مـن جمـع الحقـائق لتوضيحه، وفي فعل ذلك زودت الفكرة بكل أنواع الافتراضات التي قد نريـد القـول بأنهـا خاطئة. إن مرور الوقت والبحث الجديد يقلب ما نراه "وقائع" رأساً على عقـب. وفـي هـذا البيان، تجنبنا أية مناقشة عن موثوقية الوقائع- أكانت صحيحة، أو أنها لا تشير إلا إلـى مـا

يفترض ظهوره، أو أنها تغفل أكثر مما تتضمن. أنه نوع من ضيق الفكر ولكن لا يمكن تجنبه إذا كان علينا أن نتمسك بهدف عمل الصورة الرمزية التي يمكـن فهمهـا مـن قبـل غيـر المختصين.

وللسبب ذاته، فإن النص قد طُهر من معظم المراجع. فالكتاب ينغب المعلومات كالعصفور من هنا وهناك بدون شكر واعتراف بأولئك الذين قدموا المعونة. ولا نستطيع إلا الاعتذار.

وهناك اعتذار آخر واجب. فالكتاب قد كتب في مكان واحد وفي زمن واحد. ومهما حاولنا فلن ننجو من التحامل والانشغال بنقطة المرجع. فوجهة النظر من لندن وبريطانيا وأوروبـا، فـي النقطة المنخفضة من الركود، تعطي فرصاً لا نهاية لها للخلط بين الغابة والشجر.

وحتى نجعل الأمور بسيطة، تجنبنا في النص بصورة عامة تلك المختصرات التي أصـبحت شائعة في أيامنا. إن أشهرها قد أدرج هنا وهناك ولكن غالباً ما كتبت الأسـماء بتمامهـا. إن التشويش في النص أقل كلفة من تفحص كلمة مشكلة من الحروف الأولى للاسم. إن الـدولار يوجد في كل مكان وهو دولار الولايات المتحدة. وعندما يقع في البلايين، فهو يتبـع أيـضاً الأسلوب الأمريكي بمعنى أنه يساوي ألف مليون.

بناء الكتاب هو كما يلي: أولاً هناك مقدمة عن أسلوب المعالجة، وهو فصل يمكن القفز عنـه بالنسبة لأولئك الذين يبغون الجوهر. ثم يعرض الماضي المباشر للنظام، ثم نظرة عاجلة عـن السبعينات. وبعد ذلك يصف فصلان بعض أهم المظاهر في النظام اليوم. والفـصل الـسادس يعطي صورة عن الكتلة الشرقية، والفصل السابع عن قطاعين هامين من النشاط. وثم ملحـق بالفصل السابع يلخص النقاش حتى تلك النقطة والفصلان الأخيران لفحص المقترحات المقدمة لإنعاش النظام العالمي.

النص هو نتيجة عمل وبحث مع العديد من الناس على مدى سنين عديدة. فمن المستحيل أن أضع قائمة بأسمائهم وأشكرهم جميعاً. ومع ذلك أقدم شكري الخاص لأولئك الذين وافقـوا، قسرا، على قراءة المخطوط والتعليق عليه-تيريل هـاريس، ودنكـان هـالاس، وكـريس هارمان، وميشيل كدرون، وتوني كليف، وكريستوفر سكوت، وبيل كي. نحن لم نتفق دائماً، ولكن لولا جهودهم لكان النص أسوأ. وأحب أن أشكر ماري وليمز لحملها عبء الكثير مـن عملي العادي أثناء كتابة هذا الكتاب. أما الأخطاء فكلها من صنعي.

لندن آب 1982